يستحضر المؤسس داخله، وجوده، نظراته، العبارات التى يمكن أن ينطقها لو أنه واجه ذلك الموقف، لا شك أن ذلك ينعكس على هيئته بشكل ما فيتطلع إليه الكل برهبة واحترام، إن تحركه من مكتبه إلى غرفة أخرى أو أى طابق يثير التساؤلات والظنون.

كيف الحال إذن وقد شرع فى دخول الغرف والصالات والاجتماع برؤساء القطاعات والأقسام والعاملين الصغار قبل الكبار، طلع السلالم على قدميه، أحد عشر طابقا تجول فيها، لكنه لم يصل إلى الثانى عشر مما يعني سخطه وضيقه من الرئيس الثالث الذى أوشك على مفارقة المكتب الدائرى..

بل إنه نزل إلى الطوابق الخفية، التحتية، التى لا يعلم أحد عددها، وأين تنتهى بالضبط؟ وهل حقا تؤدى عند نقطة معينة إلى الحفرة الدائرية المتصلة بأنهار المياه العذبة، الجوفية، الممتدة تحت الصحراء الغربية كلها، كان المؤسس يتقن السباحة فيها ويعرف مساراتها.

فى الرابعة ظهرا خرج الجواهرى من المقر، أفسح له كل من رآه، لم يتجه إلى المقهى، إنما دار حول المبنى الهلالى الشكل، تقدم من السور الحجرى الأبيض المحيط بالفتحة، لم يتغير منذ أن أقامه المؤسس بعد شراء الفدادين الثلاثة وضمه الأربعة الأخرى. استند الجواهرى بيديه إلى حجارته الباردة، الغامضة. مال بجسده الضخم، القديم، حدق النظر فى الهوْ الفاغر فاه إلى ما لا نهاية، هز رأسه مرتين أو ثلاث ثم اتجه بخطى وئيدة صوب المقهى. ما بين دخوله واستقراره بركنه وخروجه متجها إلى بيته، شهد مكتب البرق والهاتف فى شارع جامعة الدول، والمكتب المواجه لوزارة الزراعة زحاما لم يسبق له مثيل.